مجلة الساورة للدراسات الإنسانية والاجتماعية
ISSN: 2477-9881 EISSN: 2676-2153
العدد التسلسلي:23 / المجلد12 / العدد: 01 (2026)، ص 272-282

الحدث التّاريخيّ بعيون المثل الشّعبيّ:
السّرديّة التّاريخيّة من وجهة نظر الرّعيّة

Historical events through the eyes of popular proverbs: Historical narratives from the perspectives of the congregation

د. دالي أحمد شكيب [1*]
[1]جامعة طاهري محمد بشار (الجزائر)، مخبر الدّراسات الأدبيّة واللّغويّة الأندلسيّة - جامعة أبي بكر بلقايد (تلمسان)، daliahmed.chakib@univ-bechar.dz.

تاريخ الاستلام:2026/03/10	تاريخ القبول: 2026/ 05/04	تاريخ النشر: 2026/06/12

ملخص: نسعى بهذا العمل إلى إظهار إمكانية التكامل بين كلّ من تخصّصي التّاريخ والأنثروبولوجيا فيما يتعلّق بنقطة خلاف منهجيّة خلقتها ظروف التّأطير الأكاديميّ الكلاسيكيّ، والمتمثّلة في التّحديد الصّارم لمصادر الاستقاء قصد تدوين الحدث التّاريخيّ، أين يمثّل الانفتاح على مقاربات منهجيّة أخرى في هذا السّياق عاملا محفّزا للحفر أعمق في رسم ملامح الحدث التّاريخيّ بصورة أوضح من خلال تنويع مصادر الاستقاء، وذلك من خلال توظيف الذّاكرة الجمعيّة في استجلاء جوانب ربّما تتجاهلها الرّواية التّاريخيّة الّتي تعاني من أزمة منهجيّة حادّة تتعلّق بالرّقابة السّلطويّة على إنتاج خطابها، لذا فإنّ الأحداث الماضية قد تعبّر عن وجهة نظر مبتورة يمكن مراجعتها من خلال النّبش في الموروث الجمعيّ المتفلّت من تلك الرّقابة والخاضع فقط للرّقابة المنهجيّة الّتي تنشد الموضوعيّة.

كلمات مفتاحية: مصادر الاستقاء، الموروث الشّفويّ، الذّاكرة الجمعيّة، الاختزال المكثّف.

Abstract: this work seeks to demonstrate the potential for integration between history and anthropology regarding a methodological point of contention created by the rigid academic framework due to strictness of the sources used to record historical events. In this context, openness to other methodological approaches is a catalyzing factor for digging deeper into the historical event and portraying it more clearly by diversifying sources of information, and drawing on collective memory to shed light on aspects that may be overlooked by historical narratives suffering from a severe methodological crisis related to authoritarian censorship of the discourse. Past events may therefore express a truncated point of view which can be revised by delving into the collective heritage that has escaped this censorship and is subject only to methodological censorship that seeks objectivity.

Keywords: sources of investigation; oral heritage; collective memory; intensive reduction.

* المؤلف المرسل

1. مقدمة:

نتيجة تثوير الإنتاج المعرفيّ بالاعتماد على التّداخل المناهجيّ للتّخصّصات قصد فهم الظّواهر المدروسة فهما أعمق، فإنّ المؤرّخين لم يتوانوا عن سلوك هذا السّبيل قصد تقديم قراءة عميقة وواعية لآليّات نشوء الحدث التّاريخيّ ومآلاته، لذا تحقيقا لذلك فقد قاربوا المسألة مستعينين بأساليب منهجيّة لتخصّصات أخرى من أبرزها الأنثروبولوجيا عموما والتّاريخيّة منها خصوصا، الّتي تزوّد المؤرّخ من خلال الرّصيد المتراكم للدّراسات الميدانيّة وتحليلاتها للمادّة المجمّعة بمصدر استقاء ثريّ يفيد في تعميق فهم المؤرّخ للظّاهرة المدروسة فهما يتيح له مقاربته بشموليّة دقيقة أكبر، فاسحا المجال للاستشراف في دائرة المقاربة الدوريّة للحدث التّاريخيّ، لذا فإنّ الأنثروبولوجيا التّاريخيّة منهجيّا تعدّ أحد روافد الكتابة التّاريخيّة - خصوصا التّاريخ الاجتماعيّ - الرّصينة المتّسمة بالموضوعيّة.

2. من أبجديّات المنهج التّاريخي في الكتابة: الرّصانة الموضوعيّة.

إنّ المشتغلين الأوائل بالبحث التّاريخيّ منحوا أهميّة بالغة لوجوب تحلّي الأعمال التّاريخيّة بطابع الرّصانة الموضوعيّة الّتي تضمن مصداقيّة التّدوين والتّوثيق للحدث، لذا حرصا منهم على تجسيد هذه الموضوعيّة فعليّا فقد أولوا بمزيد من العناية المادّة المصدريّة اهتماما خاصّا، وعليه فقد استبعدوا من دائرتها بعضا من أشكال الاستقاء الممكنة باعتبار أنّها تتّسم بالطّابع العاطفيّ - حسبهم - في سرديّتها للحدث، وهذا ما يتنافى مع ما قرّروه بخصوص اشتراط الموضوعيّة في الكتابة التّاريخيّة، ومن بين الأشكال المستبعدة هذه نجد الموروث الشّفويّ بمختلف طبوعه عموما، من أغان ونكت وأمثال شعبيّة، فهل فعلا هذا الموروث لصيق بالعاطفيّة في سرديّاته لدرجة يستحيل معها الإفادة منه - ولو قليلا مع التّمحيص والتّدقيق - في التّدوين والتّوثيق التّاريخيّ ؟

إنّ التّغيّر المعرفيّ الحاصل في مقاربة الظّواهر المدروسة دفع المؤرّخين اليوم إلى الاستعانة بروافد أخرى لاستقاء المادّة المصدريّة، والّتي من بينها نجد الأنثروبولوجيا، لذا

فكتابة التّاريخ اليوم تتزوّد معرفيّا بما تنتجه الحقول المعرفيّة الأخرى دون أن تتخلّى عن أبجديّاتها المنهجيّة الّتي تعدّ الرّصانة المعرفيّة أهمّ ركائزها، لتطرح في هذا السّياق إشكاليّة جودة المادّة المعرفيّة المستقاة ومدى استجابتها لروح الموضوعيّة الّتي ينشدها المؤرّخون.

3. مساءلة الأنثروبولوجيا للرّصانة الموضوعيّة التّاريخيّة: تاريخ أم تواريخ؟

لقد تبنّت الأنثروبولوجيا التّاريخيّة منهجا مباينا للطّرح المتحفّظ الحريص لبعض المؤرّخين بخصوص الموضوعيّة في الكتابة التّاريخيّة، معتبرة أنّ أيّ مادّة مصدريّة يمكن تمحيصها واستخلاص ما يفيد منه في بناء سرديّة متكاملة للحدث التّاريخيّ، معتبرة أنّ المادّة المدوّنة هي الأخرى يجب أن تخضع مثلها مثل الموروث الشّفويّ للمسائلة والمراجعة، فإذا كان الموروث الشّفويّ لصيق بالعاطفة حسب المؤرّخين، فإنّ الأنثروبولوجيا التّاريخيّة ترى أنّ المدوّنات والكتابات التّاريخيّة الّتي يستمدّ منها المؤرّخون هي الأخرى لا تخلو من هذا العيب، كونها كتبت في مجملها إرضاء أو تحت رقابة الرّواية الرّسميّة الّتي أرادت السّلطة تسويقها عن طريق " أقلام البلاط "، بل تعدّت ذلك إلى اعتبار أنّ الموروث الشّفويّ في أحايين كثيرة يعكس بصدق الواقع التّاريخيّ كونه يتفلّت في تعبيراته من رقابة تلك السّلطة ويرسم صورة الواقع كما هو لا كم يراد التّرويج له من أصحاب المصالح والمآرب، لذا رأت أنّ اعتماده في كتابة التّاريخ يكتسي نفس أهمّيّة النّصوص المدوّنة إذا محّصا، وعليه لا يكمن المشكل حسبها في مصدر الاستقاء وإنّما في أساليب التّدقيق وآليّات الاستقراء، لذا فالإشكاليّة تطرح على المستوى المنهجيّ البحت.

4. المثل الشّعبيّ معين للتّدوين التّاريخيّ: التّوظيف الأنثروبولوجيّ للذّاكرة الجمعيّة في الكتابة

من بين مصادر الاستقاء الّتي يركّز عليها الأنثروبولوجيّون والعديد من المؤرّخين الّذين تبنّوا التّداخل المناهجيّ في قراءة التّاريخ، خصوصا في جوانبه المسكوت عنها نجد بامتياز " الأمثال الشّعبيّة "، ويعرّف المثل الشّعبيّ على أنّه أسلوب تعليميّ ذائع بالطّريقة التّقليديّة، يصدر حكما على وضع من الأوضاع (صيني، عبد العزيز، و سليمان، 1992،

صفحة ط)، كما يعرّف أيضا على أنّه الصّورة الصّادقة لحال الشّعوب والأمم، ففيه عصارة الخبرات العميقة الّتي تمرّست بها عبر السّنوات الطّويلة من حضارتها، وهو الخلاصة المركّزة لمعاناتها وشقائها وسعادتها وغضبها ورضاها، نجد في طيّاته مختلف التّغيّرات الّتي تمثّل حياة مجتمعها وتصوّرات أفرادها بأساليب متنوّعة وطرق متعدّدة كالسّخرية اللاّذعة والحكمة الرّادعة (صيني، عبد العزيز، و سليمان، 1992، صفحة ط ، ي)، لذا فالأمثال صورة عن تاريخ النّشاط البشريّ، وعن حياة أجيال وأجيال مليئة بالتّجارب والخبرات، بالأفراح والأقراح، وأساليب الحياة المرتبطة بهما (خدوسي، 2016، صفحة 3)، ومن أجود ما عبّرت به العرب عن المثل ما أورده عالم اللّغة الجهبذ " أبو هلال العسكريّ " : " ما رأيت حاجة الشّريف إلى شيء من أدب اللّسان، بعد سلامته من اللّحن، كحاجته إلى الشّاهد والمثل والشّذرة والحكمة السّائرة، فإنّ ذلك يزيد المنطق تفخيما ويكسبه قبولا، ويجعل له قدرا في النّفوس، وحلاوة في الصّدور، ويدعو القلوب إلى وعيه، ويبعثها إلى حفظه، ويأخذها باستعداده لأوقات المذاكرة، والاستظهار به أوان المجادلة " (صيني، عبد العزيز، و سليمان، 1992، صفحة ز).

5. الأمثال الشّعبيّة: الاختزال المكثّف للحدث التّاريخيّ والأمنيزيا الجمعيّة

وقد عنيت كلّ الأمم بتدوين أمثالها لتضمّنها خبرات أسلافها، وكذلك فعلت العرب، أين اشتهر في هذا الباب كتاب " الفاخر " لـ " أبي طالب المفضّل بن سلمة بن عاصم الكوفيّ " (ت 290 هـ / 903 م)، وكتاب " الأمثال " لـ " أبي الفضل الميدانيّ " (ت 518 هـ / 1124 م)، وكتاب " المستطرف في كلّ فنّ مستظرف " لـ " شهاب الدّين محمّد بن أحمد الأبشيهيّ " (ت 850 هـ / 1446 م) وغيرهم كثيرون (ابراهيم، 1974، صفحة 138)

أمّا حاليّا فقد اهتمّ كلّ بلد عربيّ بجمع أمثاله، بل تعدّى الأمر ذلك إلى جمع أمثال مناطق مخصوصة من البلد الواحد نفسه، وعلى ذلك فكما أصبحنا نمتلك مؤلّفات في أمثال الجزيرة العربيّة وأمثال مصر وأمثال العراق وأمثال الجزائر وأمثال تونس ... إلخ، كذلك صرنا نمتلك مؤلّفات في أمثال نجد وأمثال الموصل وأمثال بغداد (ابراهيم، 1974،

صفحة 138)، وفي سياق الحديث عن أمثال مخصوصة كتلك الّتي أوردناها سلفا تجدر الإشارة إلى أنّ الحاضرة " تلمسان " الجزائريّة هي الأخرى دوّنت أمثالها، وفي هذا الصّدد ننوّه إلى عمل الأستاذة " بنديمراد - المولودة " بن عصمان " - نصيرة " كمثال عن ذلك.

من بين صنوف الأمثال الشّائعة بمدينة " تلمسان " نجد تلك الّتي تحمل في طيّاتها توثيقا لأحداث تاريخيّة أثّرت في الذّاكرة الجماعيّة لأهلها لدرجة أنّهم قيّدوها بضرب الأمثال، وضمّنوها تقريرا لما كانت عليه فعليّا الحال، فرسموا لنا صورة لواقعهم المعاش كما عايشوه، وممّا يلاحظ على هذا الصّنف من الأمثال هو أنّه علاوة على قلّته مقارنة بصنوف الأمثال الأخرى، فإنّه يتميّز بكونه يعمد لتوثيق الأحداث ذات الطّابع المأساويّ خاصّة، الّتي طالت المدينة وأهلها أو غيرهم ممّن تربطهم بهم أواصر القربى أو الجوار أو اللّحمة القوميّة، وهناك صنف آخر من جنسه إلاّ أنّه يستشرف ما ستؤول إليه أحوال المدينة وأوضاع أهلها، وهو أمثال مرويّة عن الأولياء والصّالحين تدخل في باب المكاشفات اللّدنّيّة الرّبّانيّة، وكلّ صنوف هذه الأمثال هي أمثال سائرة على الألسن لكن غاب جوهر مدلولها في أذهان النّاس، إذ يضربونها حين تعنّ المناسبة الموائمة، غير أنّك إن استفسرت عن دقيق معناها وأصل إطلاقها لم يجيبوك، وذلك لتطاول الزّمن بين مناسبة ضربها أوّل مرّة واستعمالها اليوم.

وقد عمدنا إلى جمع ما أتيح لنا جمعه في هذا الباب، كاشفين عن مضامينه وسبب ضربه النّقاب، رافعين اللّبس عمّا اعترى مدلولاتها من نسيان وغموض جرّاء تطاول الأحقاب، وممّا لاحظناه كذلك بخصوصها هو أنّ معظمها معروف لدى جلّ العائلات التّلمسانيّة، في حين أنّ بعضها مخصوص التّداول في أوساط عائليّة تلمسانيّة محدودة إن لم نقل عائلات بعينها، ولن نعرض لها هنا كلّها وإنّما سنتطرّق لبعض منها مع شرح معانيها ومقارنة ذلك بما أوردته النّصوص التّاريخيّة، ونودّ لفت الانتباه أنّنا رتّبناها بعد سبرنا غورها التّاريخيّ ترتيبا يتماشى مع كرونولوجيا الأحداث الّتي أرّخت لها.

6. تحرير المختزل المكثّف: نماذج من الأمثال الخازنة للذّاكرة التّاريخيّة الجمعيّة بـ "تلمسان".

أوّل هذه الأمثال هو المثل القائل: " عامل كي ڤايا **Gaia/ gaya** "، أي " مثل ڤايا " بالجيم المصريّة، والّذي يضرب مثلا للرّجل غير الحازم، والسّؤال المطروح في هذا الصّدد، ما معنى كلمة " ڤايا "؟ .

من خلال البحث والتّقصّي اتّضح لنا أنّ كلمة " ڤايا " اسـم علم، إذ هي اسم ملك " الماسيل " والد الملك " مـاسينيسا "، ويـرد في العديد من المصادر الأخرى باسـم " غـولة " (بن محمد الميلي، 1989، صفحة 173)، وقـد كان في صـراع مـع الملك " صيفاكس " ملك " الماسيسيل " الّذي كانت عاصمته " سيڤا "، لكن ما سبب ضرب هذا المثل؟ يبدو أنّ هـذا المثـل ضربه " الماسيسيل " من باب الدّعاية السّياسيّة آنذاك في إطار الصّراع القائم بين المملكتين، محاولين احتقاره واستصغاره باعتباره مغفّلا لا يعرف إدارة شؤون مملكته ولا مصلحة قومه، خصوصا في ظلّ ظروف الصّراع الحادّ الّذي كانت تشهده منطقة الشّمـال الإفريقيّ آنذاك بين كلّ من " قرطاج " و " روما "، ويبقى السّؤال المطروح: كيف حفظت لنا الذّاكرة الجمعيّة التّلمسانيّة تناقل هذا المثل عبر أجيال متطاولة بما شهدته من تقلّبات عميقة رافقها اندثار كلّ معالم الخلفيّة التّاريخيّة لسبب ضرب هذا المثل ابتداء؟.

وثانيها هو المثل القائل: " عام دقيوس **Decius** " (ولد حوالي 201 م - ت 251 م)، والعام في لسان العرب الشّائع والمخيال الجمعيّ دالّ على الشّدّة والمحن في عموم استعماله، إذ لمّا حوصر النّبيّ ﷺ ومن معه بشعاب مكّة وتوفّيت خديجة رضي الله عنها حينها، وتوفّي عمّه أبوطالب الّذي كان سندا له في دعوته بما كان يوليه إيّاه من حماية ومنافحة، سمّي ذاك الحدث في التّاريخ الإسلاميّ بـ " عـام الحزن "، وكذلك كلّ شدّة كانت تصيب العرب كانـوا يسمّـونها بعـام كذا وكذا، مثل " عام الفيل " و " عام الرّمادة " .... إلخ، أين يرتبط العام بحدث جلل يجعل منه معيارا تقويميّا قد يتّخذ منطلقا لتأريخ

الأحداث الّتي تعقبه، وقد كان هذا التّقليد ساريا في الأمم القديمة عموما بما فيهم العرب، ولا زال ساريا لحدّ أيّامنا هذه كقولنا " عام كورونا " وقبلها عند أجدادنا " عام البون " .... إلخ، والسّؤال المطروح المتعلّق بالمثل الّذي أوردناه هو: من يكون دقيوس الّذي ضرب به أسلافنا المثل؟ وما الخطب الجلل الّذي حدث في عهده حتّى صار معيارا تأريخيّا؟

" دقيوس " هو الامبراطور الرّومانيّ " جايوس ميسيوس كوينتوس تراجانوس دقيوس "، حكم من سنة 249 م إلى سنة 251 م، وخلال عهده تمّ اضطهاد المسيحيّين بشكل غير مسبوق وصف ذلك المؤرّخ " روبين دانيال " في كتابه " التّراث المسيحيّ في شمال إفريقيا " بالمحن الحارقة، أين كتب عن ذلك ما يلي : " في العام 249 م بدأت غيوم العاصفة تتجمّع من جديد، فقد ضاق صدر الإمبراطور الجديد " دكيوس " وازداد قلقه باطّراد، بسبب تفسّخ الإمبراطوريّة الرّومانيّة، فضلا عن تخلّفها العسكريّ، وقد عزا الإمبراطور ضعف الإمبراطوريّة ووهنها إلى استياء الآلهة، كان يأمل إعادة الازدهار إلى الأراضي الخاضعة لسلطانه وسيطرته عندما أصدر مرسوما دعا فيه جميع المواطنين، رجالا ونساء، إلى تقريب الذّبائح للآلهة بشكل علنيّ، وتسلّم شهادة من المسؤولين المحلّيين تثبت أنّهم فعلوا ذلك (روبين، 1999، صفحة 119)، لذا فقد " بدأت مطرقة الأوجاع القاسية المؤلمة تسقط ثقيلة على الكنيسة في قرطاجة " (روبين، 1999، صفحة 148) وغيرها من كنائس شمال إفريقيا، وأتباعها الّذين استبيحت دمائهم بعد عصيانهم الامتثال لأوامر الإمبراطور بخصوص تقديم الذّبائح للآلهة، فقدموا هم ذبائح وقرابين لها، وسفكت دمائهم سفكا مريعا بقيت معالمه محفورة في الذّاكرة الجمعيّة لساكنة شمال إفريقيا، ومن هنا صارت تلك الأحداث معلمة تاريخيّة ارتبطت بالإمبراطور " دقيوس " الّذي كانت أوامره وسياسته سببها الرّئيسيّ، ورغم تبدّل أوضاع المسيحيّين بعد ذلك، ورغم اضمحلال المسيحيّة بالشّمال الإفريقيّ بعد الفتح الإسلاميّ، إلاّ أنّ الذّاكرة المحليّة احتفظت بذكرى تلك الأعمال المريعة وضمّنتها هذا المثل الّذي خلّد شخصيّة هذا الإمبراطور السّفّاح.

كذلك من بين الأمثال التّلمسانيّة الّتي تختزن معالم الذّاكرة التّاريخيّة نجد أمثال الأندلسيّين الّذي وفدوا وتوطّنوا هذه المدينة، والّتي من بينها المثل القائل: " الرّاي **El Rey** (ومعناها الملك باللّسان الإسبانيّ) بوعباية "، وهو مثل يضربه التّلمسانيّون في أيّامنا هذه على سبيل الاحتقار للرّجل الفاشل الغير حازم، لكن من الملك المقترن بهذه الأوصاف؟ المقصود به من خلال استقراء حيثيّات الإلقاء في السّياق التّلمسانيّ هو " أبو عبد الله محمّد الثّاني عشر " آخر ملوك مملكة " غرناطة " الإسلاميّة الّتي أفلت بتسليمه إيّاها للملكين الإسبانيّين " فرناندو " الأراغونيّ و " إليزابيث " القشتاليّة، فكان تسليمه ذاك نقمة ولعنة رافقته، خصوصا أنّه حسب المدوّنة التّاريخيّة الإسلاميّة لم يأخذ بأسباب الحيطة والمنعة ممّا أدّى إلى سقوط مملكته، إذ بدل أن يوجّه جهود ومقدّرات المملكة في الدّفاع عنها والحفاظ على وجودها، استنزف ذلك في حروبه مع عمّه " أبو عبد الله محمّد الثّالث عشر " المعروف بـ " الزّغل "، هذه الحروب الدّاخليّة الّتي مهّدت بشكل كبير لاستيلاء الإسبان على " غرناطة " آخر معاقل المسلمين بشبه الجزيرة الإيبيريّة، لذا صار هذا الملك ممقوتا، فقدح النّاس في هيئته الدّالة حسبهم على التّهاون والخور، أين سمّوه بـ " الرّاي بوعباية " دون ذكر اسمه حتّى، استصغارا لشأنه واحتقارا لسيرته، حيث ارتبطت العباية لديهم بهيئة الضّعة والضّعف، ومن باب تأكيدهم ذلك هو ذكرهم له في المدوّنة التّاريخيّة باسم " أبي عبد الله الصّغير **Boabdil El Chico** "، وصفة الصّغير سواء كان معناها المقصود الحقير أو صغير السّنّ المفيدة لقلّة التّجارب (الصّبيّ)، وإن كان الأرجح بخصوصها المعنى الأوّل، أطلقها الإسبان عليه ترسيخا لصورة الضّعف والهوان الّذي أرادوا وصمه بها تثبيطا لمعنويّاته ومعنويّات أتباعه لئلاّ يفكّروا في العود إلى الدّيار الأندلسيّة، وهي الصّفة الّتي لازمته كذلك في المدوّنة التّاريخيّة الإسلاميّة وفي المخيال الجمعيّ الأندلسيّ - المغاربيّ بكلّ حمولته الاحتقاريّة.

وفي نفس السّياق يندرج المثل التّلمسانيّ القائل: " حتّى رأد وفاء، وصاب راسو في الزّراء " (" حتّى رقد وأفاق، ووجد نفسه بالزّقاق ") الّذي يضرب هو الآخر عن هذا

الملك، وهذا المثل يدلّ على عدم الحزم والاحتياط المفضي إلى الخسارة، فعبارة " رأد وفاء " كناية عن عدم أخذ الحيطة والحزم، والنّتيجة المترتّبة عنها " صاب راسو في الزّءاء " كناية عن خسران الملك والطّرد من برّ العدوة الشّماليّة بالأندلس إلى العدوة الجنوبيّة بشمال إفريقيا، إذ " الزّءاء " كما تنطق في اللّهجة التّلمسانيّة يقابلها في الفصيح " الزّقاق "، وهو أحد أسماء مضيق " جبل طارق "، إذ يعرف أيضا بـ " بحر الزّقاق " واختصارا بـ " الزّقاق " في المدوّنة الجغرافيّة الإسلاميّة، لذا معنى هذا المثل أنّ الملك " أبي عبد الله الصّغير " جرّاء عدم حزمه في الدّفاع عن ملكه وجد نفسه على ساحل العدوة الشّماليّة من " الزّقاق " الّذي سيرتحل منه مهزوما منكوسا للعدوة الجنوبيّة، وهذا المثل التّلمسانيّ ذي الجذور الأندلسيّة يضرب لغير الحازم الّذي تتفلّت منه الأمور ولا يمكنه تداركها لفوات أوان ذلك، والأصل في ضربه هو لوم الملك " أبي عبد الله الصّغير " عن إضاعته مملكة " غرناطة " ونكبته أهل الأندلس بذلك، إذ كان سببا في شتاتهم وشقاء من بقي منهم تحت وطأة الإسبان النّصارى، وهو يعبّر ضمنيّا عن النّقمة والسّخط على ذاك الملك المتراخي الّذي كان تراخيه سببا في تداعي ما بقي من ملك المسلمين بالأندلس وفقدانها للأبد.

ومن الأمثلة التّلمسانيّة ذات الحمولة التّاريخيّة كذلك، نجد المثل القائل: " ضرب " أرنجة " و " فرنجة " و " درب سيدي حامد " " الّذي غالبا ما تضربه الأمّهات التّلمسانيّات عن أزواجهنّ أو أبنائهنّ المتأخّرين في الرّجوع بعد إرسالهنّ لهم لقضاء غرض من الأغراض، إذ عندما يعود الشّخص المرسل متأخّرا تبادره المرأة بقولها: " فاين كنت؟ تئول ضربت أرنجة وفرنجة ودرب سيدي حامد " أي " أين كنت؟ وكأنّك جبت " أرنجة " و " فرنجة " و " درب سيدي حامد " "، وإذ نحاول تفكيك هذا المثل لاحظنا للوهلة الأولى أنّ " فرنجة " المقصود بها أرض الفرنجة أو فرنسا حاليا، في حين أنّ درب " سيدي حامد " هو أحد دروب مدينة " تلمسان " المشهورة، بل سرّها إن جاز لنا استعمال هذا التّعبير، وهو منسوب لأحد أوليائها الصّالحين، لكن ما معنى كلمة " أرنجة "؟ هل هي مجرّد كلمة

عشوائيّة استعملت لخلق نغمة متناسقة مع كلمة " فرنجة "؟ أم أنّها هي الأخرى تدلّ على اسم مكان؟ نحن نعلم أنّ أجدادنا ما كانوا يضربون الأمثال أو يستعملون غيرها من أشكال التّعبير بصورة عشوائيّة مراعاة للإيقاع فقط، بل كلّ شيء في لسانهم كان قصديّا، لذا ترجّح لنا أنّ " أرنجة " اسم مكان هو الآخر، ولمّا كانت اللّهجة التّلمسانيّة عموما تبدل حرف القاف في الفصيح إلى الألف في اللّهجة، كان لزاما علينا ردّ نطق هذه الكلمة لأصلها الفصيح لتصبح " قرنجة " الظّاهر عليها أنّها لفظة لاتينيّة الأصل معرّبة كون المثل ذي أصول موريسكيّة أغلب الظّنّ، وكما هو معلوم فإنّ الأبجديّة اللاّتينيّة وما تفرّع عنها لا تتضمّن حرف القاف أصلا، وإنّما هو " **C** "، لذا فإنّها في أصل نطقها " كرنجة " مع التّنبيه كذلك على أنّ جيمها تنطق جيما قاهريّة (وتسمّى كذلك في الدّراسات الألسنيّة بالقاف المعقودة أو الكاف الفارسيّة) أو " **G** " في الأصل، لنحصل في نهاية المطاف على النّطق الأصليّ لهذا الاسم " **Caranga** "، فأين تقع " **Caranga** " هذه؟ من خلال بحثنا في الخرائط اتّضح لنا أنّها مدينة إسبانيّة تقع ببلاد الجلالقة (أستورياس) بالشّمال الغربيّ لإسبانيا، وباعتبار أنها منطقة جبليّة باردة لم يعرها المسلمون اهتماما، لذا لم يخضعوها لحكمهم فكانت بذلك نواة حروب الاسترداد، وبمرور الوقت صارت في المخيال الأندلسيّ ومن بعده الموريسكيّ تدلّ على بلاد الحرب البعيدة الّتي لا أمل في فتحها أو حتّى وصولها لإيغالها في عمق الأراضي الإسبانيّة، لكن حسب ما يستشفّ من المثل الموريسكيّ هذا يبدو أنّها صارت محطّة مهمّة في رحلة الفرار من محاكم التّفتيش إلى بلاد الفرنجة ومنها إلى شمال إفريقيا من بين وجهات أخرى فرارا من بطش تلك المحاكم، ويبدو أنّها بقيت محفورة بأهوال طرقها في ذاكرة الموريسكيّين الّذين فرّوا للأراضي الفرنسيّة، أين بقي بعض منهم هناك في حين ارتحل آخرون منها إلى الشّام أو تركيا أو شمال إفريقيا، فكان هذا المثل الموريسكيّ - التّلمسانيّ توثيقا لطريق الهجرة الطّويلة والشّاقّة، والضّرب في الأرض من أجل الفرار بالدّين من وطأة قساوسة محاكم التّفتيش المتعصّبين.

7. خاتمة:

من خلال ما سبق عرضه يتّضح لنا بجلاء أنّ التّحفّظ المنهجيّ الّذي يبديه عديد المؤرّخين بخصوص مصادر التّلقي من أجل ضمان الموضوعيّة في بناء السّرديّات التّاريخيّة للأحداث تحفّظ لا مبرّر له، إذ أنّ الإشكال فعليّا ليس قائما في طبيعة المادّة الّتي نرتكز عليها ونستثمرها في توثيق الأحداث بقدر ما هو قائم في آليّات معالجة تلك المادّة بغضّ النّظر عن طبيعتها، لذا فإنّ المسألة منهجيّا لا تتعلّق بالمدخلات بقدر ما تتعلّق باستراتيجيّات المعالجة ومخرجاتها منهجيّا، والدّليل على ذلك هو أنّ الأنثروبولوجيا بمنهجها الشّمولي المستوعب لمختلف مصادر الاستقاء الممكنة أثبتت لنا أنّ التّاريخ يتقاطع في العديد من خطوطه التّقريريّة للأحداث مع مخزون الذّاكرة الجمعيّة للشّعوب، بل قد تكون الذّاكرة الجمعيّة مصدرا مهمّا لمراجعة الخطابات الرّائجة في سوق الكتابة التّاريخيّة وتصحيحها، كما قد تكون مرجعا يعمّق تأكيد صحّة الطّرح التّاريخيّ، لذا فإنّ ممّا يستقوي به المؤرّخ اليوم في رسم صورة مفصّلة قدر الإمكان للأحداث الماضية هو تداخله منهجيّا مع طروحات مناهج التّخصّصات الأخرى والّتي من أهمّها الأنثروبولوجيا الّتي تعتبر بمخزونها التوثيقيّ وأساليبها المنهجيّة رافدا حيويّا لبعث الرّوح في بعض من شاحب الكتابة التّاريخيّة، خصوصا الكتابة الّتي لا تزال منغلقة على نفسها في دائرة المنهج التّاريخيّ الكلاسيكيّ.

8. قائمة المصادر والمراجع:

ابراهيم, ن .(1974) .*أشكال التعبير في الأدب الشعبي* .القاهرة: دار نهضة مصر للطبع والنشر.

بن محمد الميلي, م .(1989) .*تاريخ الجزائر في القديم والحديث* .بيروت: دار الغرب الإسلامي.

خدوسي, ر .(2016) .*موسوعة الأمثال الجزائرية* .الجزائر, الجزائر: دار الحضارة للنشر.

روبين, د .(1999) .*التّراث المسيحيّ في شمال إفريقيا* .بيروت: دار منهل الحياة.

صيني, م. إ., عبد العزيز, ن. م & ., سليمان, م. أ .(1992) .*معجم الأمثال العربية* .بيروت: مكتبة لبنان.